العمارة والجريمة *

أ.د. وجيه فوزي يوسف

لا يعلو على هلع الإنسان وارتباكه عندما يهم بدخول مسكنه فيفاجأ بالاعتداء عليه أو يفاجأ بأن كل ما اقتناه بشقاء العمر قد سطى عليه اللصوص.

إن هذا البائس لن يجد أمامه سوى التقدم ببلاغ إلى الشرطة التي يجب عليها إعادة المسروقات التي لم تراها والقبض على الجاني الذي لا تعرفه.

وتتوالى هذه الأحداث ليلاً ونهاراً وتستمر في المستقبل كما كانت في الماضي ما دام المتسبب الأصلي في تسهيل مهمة الجاني – وقد تكون العمارة أو المهندس المعماري – مهتماً بحل مشاكل أخرى ليس من بينها المحافظة على ممتلكات وأمن الساكن باعتبار أن هذه هي مسؤولية الأفراد والشرطة وحدهم وأن مهمته تنحصر في تصميم مسكن ملائم يحمي من بداخله من العوامل الخارجية، به فراغات داخلية تؤدي وظيفتها في راحة الإنسان ومنفعته ويكون له شكلاً جميلاً من الخارج.

وما دام السارق الذي ظفر بعائد مجز. ومتوقع الكسب من هذه العمليات مستقبلاً قد نجح مرات عديدة. لذلك فإن الجرائم على السكان سوف تستمر طالما أنها تحقق أمنيات وأهداف الجاني وطالما أن الطريق مفتوح أمامه بسبب سهولة اختراق المبنى.

بيد أننا لا يجب أن نأمل في أن عدد الجناة سوف يتناقص إذا ما وفرنا حماية مشددة من قبل أفراد من الشرطة مدججين بالسلاح، لأن ذلك لن يكون عملياً إلا في معسكرات الجيش حيث تحركات الأشخاص تكون مرصودة وأن كلمة سر الليل التي تتغير يومياً لا يعرفها سوى المسموح لهم بالتواجد في هذه المناطق.

هذا بالإضافة إلى أن مفهومنا للشرطة قد تغير وأصبح من يشاهد منا جريمة سطو لا يسارع بإبلاغ الشرطة بسبب عدم معرفته بالمجني عليه أو عدم اهتمامه بالآخرين.

لقد كنا فيما مضى نعرف جيراننا وسكان الحي الذي نقطن فيه، أما الآن

---

* مجلة المهندسين، السنة ٤٠، العددان ٣٥٤ – ٣٥٥ ، سبتمبر وأكتوبر ١٩٨٤، ص ٦٠ – ٦٦

فمن منا يعرف سكان العمارة المقابلة له؟

إن تصميمات منازلنا الحديثة ورغبتنا في الانعزال والخصوصية جعلتنا نتقوقع داخل ديارنا لا ندري بما يدور في بيوت الآخرين وأصبحنا فريسة سهلة لأطماع الآخرين، بهذا تسببنا في جعل مهمة الشرطة بالغة الصعوبة إذ عليهم أن يقوموا بواجبهم في غياب تعاون الأهالي، أضف إلى ذلك ميول اللصوص العدوانية التي يصفها فرويد بأنها جوهر سلوك جميع البشر.

وكُتاب كثيرون ابتداءً من فرويد إلى لورينز أكدوا أن الميل العدواني هو جزء من تكوين البشر لا يمكن التنصل منه لأنهم ورثوه من قديم الأزل، ويضيف كونراد لورينز بأن الميول العدوانية لها منافع كثيرة للإنسان والحيوان على السواء وأن قمع السلوك الإجرامي في المجتمع قد يكون أكثر خطورة من العدوان نفسه، وهو يتفق مع رأي إدوارد هول بأن السلوك العدائي يساعد على حفظ النوع في البيئة الموجود فيها.

وطبقاً للنظريات الاجتماعية فإن مشاهد عمليات السطو والجريمة سواء عن طريق الشخصيات التي تقوم بهذه الأدوار في التليفزيون أو الأفلام أو عن طريق الأقارب أو المعارف فإن الناس تتعلم بسرعة هذه الأساليب وتمارسها طالما أنها تحقق لهم عائداً.

إن رغبة الإنسان وحاجته إلى الحماية قديمة قدم نزعته إلى الإجرام وهذه الرغبة جعلته يستهلك قدراً كبيراً من تفكيره ووقته ومجهوده ووظائفه ورأس ماله لتصميم بناء يحميه من الغرباء من أقرانه البشر.

ولقد ظل موضوع الأمان حتى يومنا هذا موضع اهتمام شديد لدى كل إنسان يبحث عن مكان يأويه. إن عدم توافر الأمن في المسكن بدون قدرة الشخص على الاختيار هو شيء يؤدي إلى الإحباط ويدفعه إلى مواقف سلبية وشعور نفسي بالهزيمة وعدم قدرة على التعايش مع العالم الخارجي.

لقد كانت التخطيطات القديمة للقرية تشمل على شوارع أغلبها مسدود من نهايتها وكانت ربات البيوت تجلس أمام بيوتهن ويتحادثن مع بعضهم بينما هن منهمكن في أعمالهن اليدوية وما كان لغريب أن يجرؤ على التجول في الحارة أو الشارع إلا وقد عرف الجميع هويته.

أما الآن ومع امتداد الشوارع والسرعة الزائدة في المرور والزيادة في كثافة

السكان فإن هذه العلاقات الاجتماعية تأثرت وانحصرت وأصبح كل شخص يعني بأمر نفسه فقط.

إن المهندس المعماري يستطيع التخفيف من حدة هذه المشكلة لو أنه صمم المباني على هيئة مجموعات لتقوية الروابط الاجتماعية بين السكان وتشجيع التعاون بينهم وأن يهيئ لهم فرص طبيعية لمراقبة ما يدور حولهم.

كما يستطيع المعماري بأن يخلق تفهم واضح لوظيفة المكان ومن هو المستخدم (الجمهور أو السكان) وما يجب أن يكون عليه كل ذلك.

إن تصميم المسكن وتقسيماته الداخلية إذا ما سهلت للساكن مراقبة كل ما يجري فيه وهو في موقعه لاشك يكون أفضل من المسكن الذي لا يدري فيه الساكن بما يدور في الجانب الآخر منه. إن لصوص المنازل ليحجمون عن مهاجمة مسكن تكثر فيه احتمالات المراقبة من نوافذ البيوت المجاورة ومن احتمالات تدخلات السكان للاستفسار عن وجهته.

يقول أوسكار نيومان أنه من الواضح أننا نبني بيوتنا بدون قدر كبير من التفكير ولا اعتبار لمتطلبات الأمن وها نحن الآن نواجه بالمشاكل أن مدخل العمارات بعيدة كل البعد عن مراقبة السكان وسيطرتهم، ولذلك يجب أن:

١- توزع شبابيك المبنى بحيث تتيح للسكان مراقبة ما يجري بالخارج وبالأفنية الداخلية للمبنى.
٢- عمل تصميمات بحيث لا تؤثر على خصوصية الساكن المقابل.
٣- اختيار مناطق الإسكان الجديدة في مواقع لا تشكل تهديداً لأمن السكان.
٤- العمارة ليست فقط طراز وشكل وراحة. إن العمارة ممكن أن تخلق الجريمة وممكن أن تمنعها.
٥- إن المعماري إذا ما تسلح بمعرفة أساليب السطو يمكنه بسهولة تصميم المكان بحيث يصعب السطو عليه.

إن أكثر المناطق أمناً في المدينة هي الشوارع الرئيسِية حيث تكثر فيها الحركة والمداخل المطلة على هذه الشوارع إذا ما أُضيئت إضاءة كافية تكون أكثر أمناً. ولذلك يمكن عند إنشاء منطقة سكنية جديدة جعل كل مجموعة من العمارات تشارك في مدخل عمودي على الشارع الرئيسي.

وكذلك يمكن توزيع الوحدات السكنية والشبابيك والمداخل وممرات المشاة وأماكن الأنشطة بحيث يمكن للسكان المراقبة المستمرة على الشوارع والمنطقة السكنية وكذلك مداخل عماراتهم من الشارع الرئيسي.

أو بمعنى آخر إن الشارع يحمي المبنى والمبنى يحمي الشارع هذا بدلاً من تصميم كحصن مستقل بذاته.

إن هذا التفكير يحفز السكان على الاهتمام بمنطقتهم والبشوارع وقطع الأراضي التي تجري فيها الأنشطة والتي تربط المباني ببعضها.

إن الساكن العائد إلى داره يكون أكثر أمناً لو أنه استطاع أن يذهب مباشرة من الشارع الرئيسي إلى مدخل منزله في خط مستقيم، ويكون أكثر أمناً لو كان هذا المدخل يواجه الشارع الرئيسي بدلاً من جعله يترك الشارع الرئيسي ويعرج يميناً ويساراً إلى طريق فرعي في المنطقة السكنية حتى يصل إلى منزله.

إن مشكلة الأمن التي تواجهنا في العمارات العالية التي نضطر إليها نتيجة للظروف الاقتصادية صعبة للغاية لأن الجزء الآمن هو الوحدة السكنية فقط، أما هو غير ذلك فهو لا يمكن وصفه بأنه مكان عام أو مكان خاص.

فالمداخل والسلالم والمصاعد والأبهية والطرقات كلها مفتوحة لكل الأشخاص بالإضافة إلى أنها لا تستخدم بصفة دائمة ولذا فإن هذه الأماكن ومع تعدد الطوابق تصبح مكاناً خصباً لارتكاب الجرائم وسبباً للرعب، ولقد أثبتت الدراسات العلاقة بين ارتفاع المبنى والزيادة في معدلات الجرائم وأنه كلما زاد ارتفاع المبنى كلما زادت عمليات السطو والاغتصاب.

بيد أن الارتفاع في حد ذاته ليس هو السبب الوحيد في ازدياد معدلات الجرائم بل يجب أن يؤخذ في الاعتبار العوامل المصاحبة الأخرى مثل كثرة عدد الوحدات السكنية والأعداد الكبيرة من الناس التي تدخل المبنى، كذلك وجود جيوب كثيرة في المبنى بعيدة عن الرؤية والمراقبة.

ولقد أثبتت الدراسات أيضاً أن مشاريع الإسكان الضخمة التي تحتوي على عمارات عالية تشجع على ارتكاب الجرائم لأنها تقوي الشعور لدى الأفراد بالغربة والانعزال وعدم المسؤولية وعدم الإدراك بكل ما يحيط الشخص من أحداث.

لقد وُجد أن معدل الجرائم زاد ٢,٦ لكل ألف شخص في المباني ذات الطوابق الستة إلى ١١,٥ لكل ألف شخص في المباني التي يزيد عدد أدوارها عن ١٩ طابقاً، ولذا يوصي بألا تزيد عدد الطوابق بمشروعات الإسكان عن أربعة أدوار للحد من الجريمة.



لقد أثبتت الدراسات أن مشاريع الإسكان التي تحتوي على عمارات عالية تشجع على ارتكاب الجريمة وأن معدل الجرائم بها يصل إلى ١١,٥ لكل ألف شخص.

ولقد وُجد أن هناك مشاكل أخرى جديرة بالاهتمام وتحتاج إلى مناقشة وهي مشاكل سلالم الحريق والمخارج الثانوية، فإن تعدد السلالم هذه وخاصة في حالة العمارات ذات البسطات الطويلة وبسبب اشتراطات الحريق التي تتطلب أن تكون هذه السلالم داخل أفنية من الخرسانة المسلحة ذات شبابيك ضيقة فإنها تُستخدم بكثرة بواسطة المجرمين.

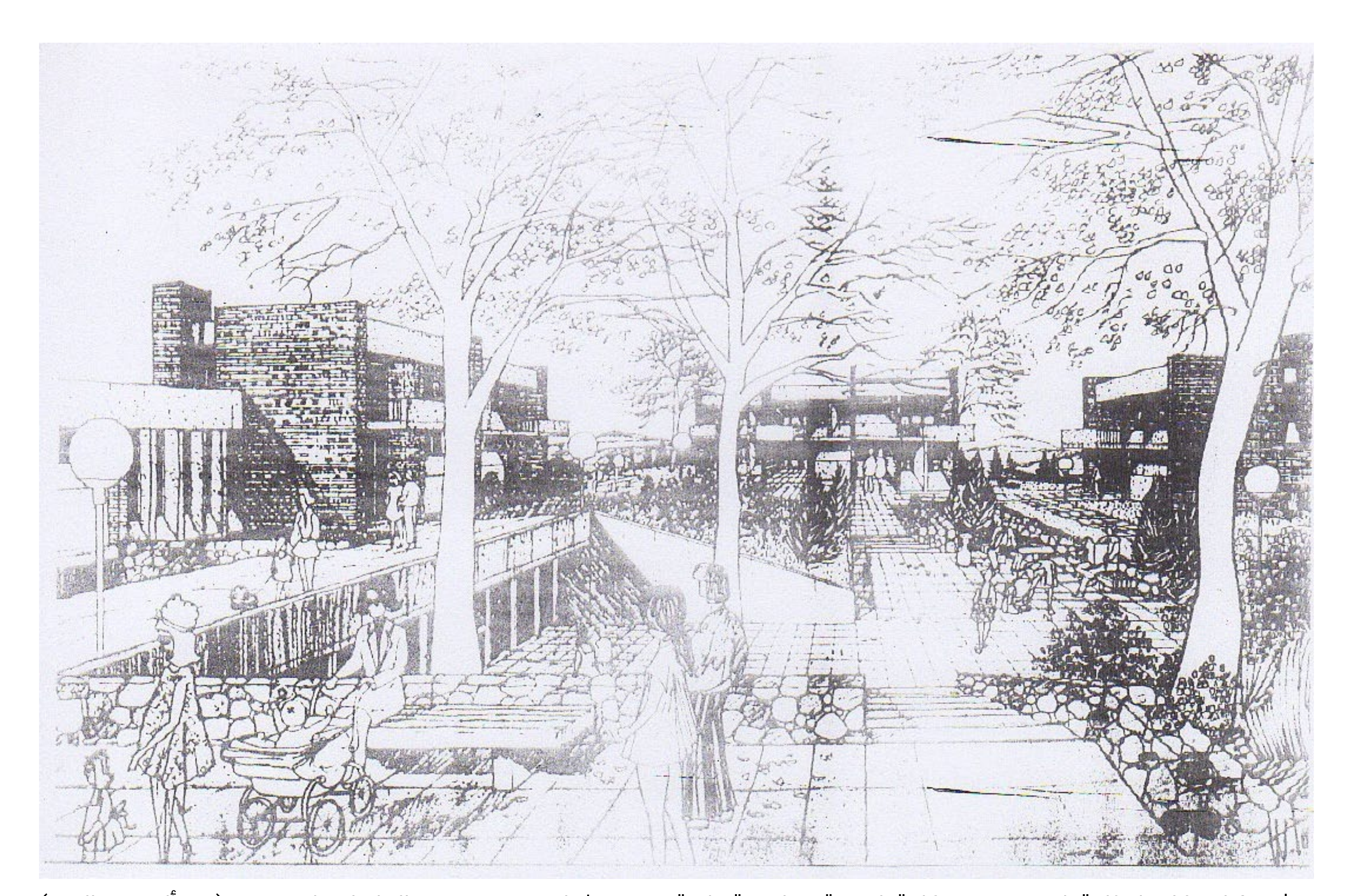
ويسبب ندرة استخدام هذه السلالم فإن مراقبتها تعتبر مستحيلة ويجد المجرم فيها مكاناً مناسباً له من حيث أنه له أكثر وسيلة للهروب من خلال الأبواب الثانوية وأن المخاطرة فيه ليست كبيرة.

مما تقدم نستطيع أن نوصي بإتباع ما يلي في تصميم مشروعات الإسكان:

أولا: تصميم الموقع العام:

يجب أن تكون الأراضي التي تحيط بالمباني لها علاقة مباشرة بها وأن تحدديها جاء للتأكيد لكل من السكان والغرباء معاً بأن هذه الأراضي خُصصت للاستعمال الخاص للسكان دون غيرهم ويجب أن تُستخدم هذه الأراضي للترفيه بواسطة وضع أجهزة للعب الأطفال ومقاعد لجلوس الكبار وهذا يقوي الانتماء للمكان والشعور بخصوصيته.

كما أن وضع مثل هذه الأنشطة حول العمارات تجعلها تبدو كامتداد طبيعي للعمارات نفسها وتواجد الأطفال يلعبون والكبار يجلسون في هذه المواقع تساعد على تعرف السكان على سكان العمارات المجاورة التي تشاركهم الموقع وبذلك يسهل اكتشاف الغرباء ويصبح من الميسور مراقبة تحركاتهم ويسهل استجوابهم.



مشروع إسكان الطلبة المتزوجون بكلية الزراعة بجامعة ولاية موريسفيل بنيوجيرسي بالولايات المتحدة. (عن ألبرت هالس)

الأراضي المحيطة بالمبنى مصممة بحيث تؤكد الخصوصية وأن تواجد الغريب في هذا المكان يستدعي الشبهة والاستجواب، إن هذا التصميم يشجع على الاستخدام مما يزيد من أمن المنطقة السكنية.

ولا يجب أن يعامل المبنى على أنه وحدة مستقلة قائمة بذاتها مهما كانت له أصول في التكوين والتوجيه أو أن ليس له علاقة بوظيفة الأرض حوله والتي لها علاقة بالمباني الأخرى المجاورة.

كما لا يجب على المعماري أن يأخذ وظيفة النحات ويعتبر الأرض المجاورة للمبنى ليست أكثر من مسطح يبني عليه ويوزع مبانيه كأنها عناصر رأسية مطلوب وضعها في تشكيل جمالي إنما يجب عليه أن يعتبر أن المباني والأراضي من حولها وحدة واحدة متكاملة ومن هذا المنطوق يجب أن يكون المعيار الأساسي للتصميم الجيد هو الطريقة التي تحدد وتجزئ هذه المباني الأراضي التي تقف عليها وكذلك العلاقة بين مداخل العمارات وهذه الأراضي الخاصة وعلاقة عناصر الحركة الرأسية بالمداخل الرئيسية.
هذه يجب أن تُعطى الأولوية الأولى في التصميم أي أن المبنى نفسه هو الذي يحدد استخدام الأرض التي يقف عليها.

يجب أيضاً تحديد المواقع بحواجز رمزية طبيعية مثل عمل مسقط العمارة على شكل حرف U وعمل الحوائط المرتفعة والبوابات وبعض درجات السلالم والمزروعات والتغيير في ملمس الأرصفة وأماكن المشاة وهذه كلها عوامل تبين للشخص أنه ينتقل من مكان عام إلى مكان خاص يحتاج تواجده فيه إلى تفسير.

لقد ثبت أن هذه الموانع الرمزية لها فعاليتها في تحديد السلوك العام في هذه المناطق فبينما يحدث في الشارع العمومي سلوك مثل التسول وإلقاء القاذورات والجلوس أو الارتكان على السيارات نجد أن مثل هذه الأفعال تقل بدرجة ملحوظة وأن الشخص الذي لا يسلك السلوك العادي المقبول في مثل هذه المواقع يسهل التعرف عليه ويكون محل شبهة.

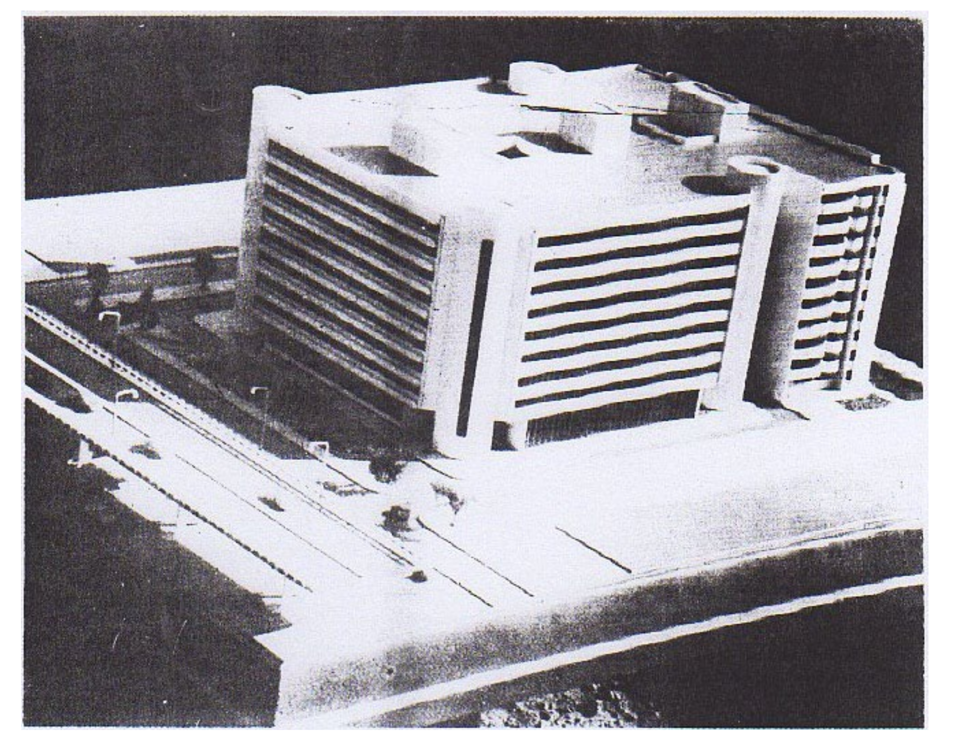
ثانياً: كفاءة التصميم المعماري:

إن التصميم المعماري الجيد هو الذي يهيئ للناس القدرة على مراقبة الأماكن العامة بالمنطقة السكنية وهم يقومون بوظائفهم داخل وحداتهم السكنية. كما أن شعور الشخص الموجود بهذه الأماكن العامة مثل الحدائق، المصاعد، السلالم والممرات بأنه مراقب من سكان آخرون يجعله يشعر بأمان المكان ويزول عنه الخوف والقلق الذي ليس له ما يبرره والذي يسود السكان عادة في المناطق السكنية الأخرى التي تُبنى بطريقة

عشوائية وبدون دراسة موضوعية.

إن الشعور بأن المنطقة آمنة تشجع السكان على استخدامها باستمرار وهذا بدوره يزيد من أمن المنطقة نتيجة كثرة استخدامها.

وحيث أن معظم الجرائم تحدث في الأماكن البعيدة عن الأنظار في الطرقات وفي سلالم الهروب وأحياناً في المصاعد إلا أنه من الممكن بواسطة ترتيب وضع شبابيك السلالم وبسطات الأدوار وجعلها تطل على الخارج تجعلها تحت المراقبة المستمرة بواسطة سكان المشروع.



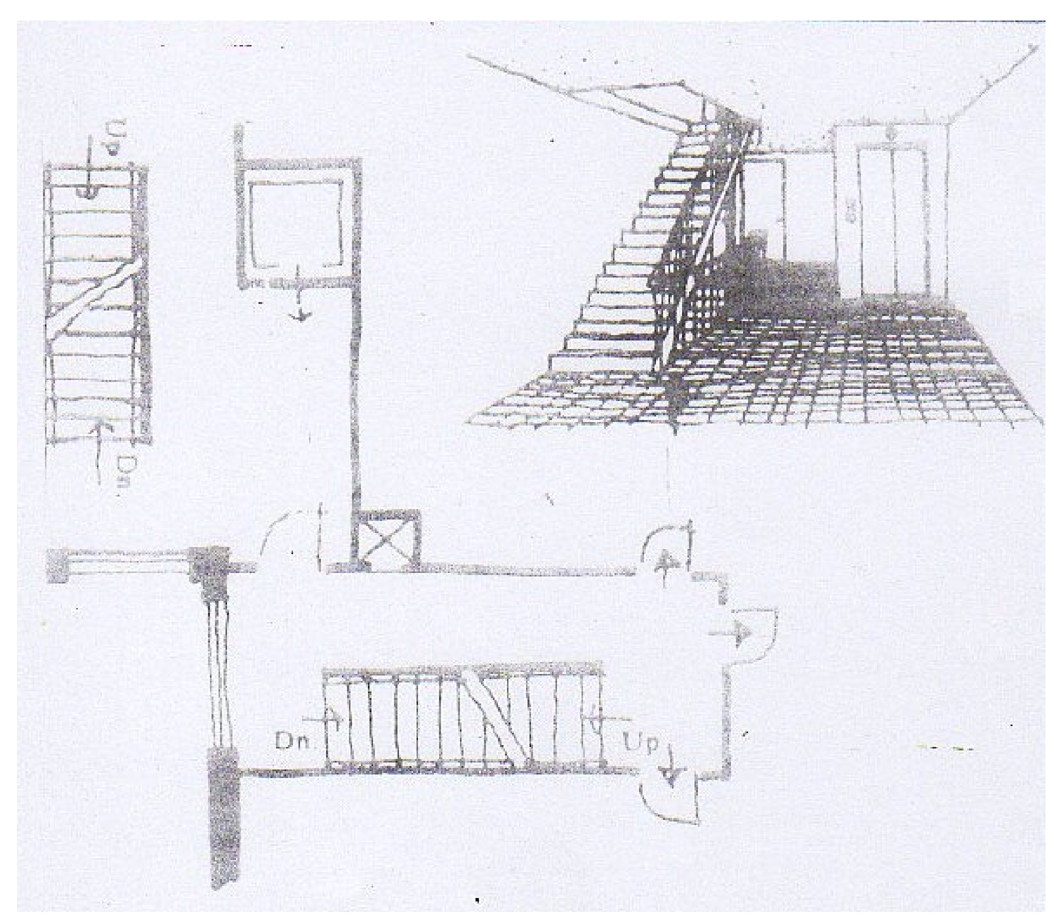
مشروع مسابقة المبنى الإداري التجاري السكني على قطعة أرض بميدان العباسية بالقاهرة.

الأبراج الاسطوانية تحتوي على سلالم الهروب والخدمات العامة للجمهور موضوعة على أركان الجزء الإداري التجاري وتضاء مباشرة من الشارع الرئيسي والطرق الجانبية لتكون تحت المراقبة المستمرة. والمصاعد موضوعة بحيث يمكن مراقبتها من كلا الطريقين الجانبيين.

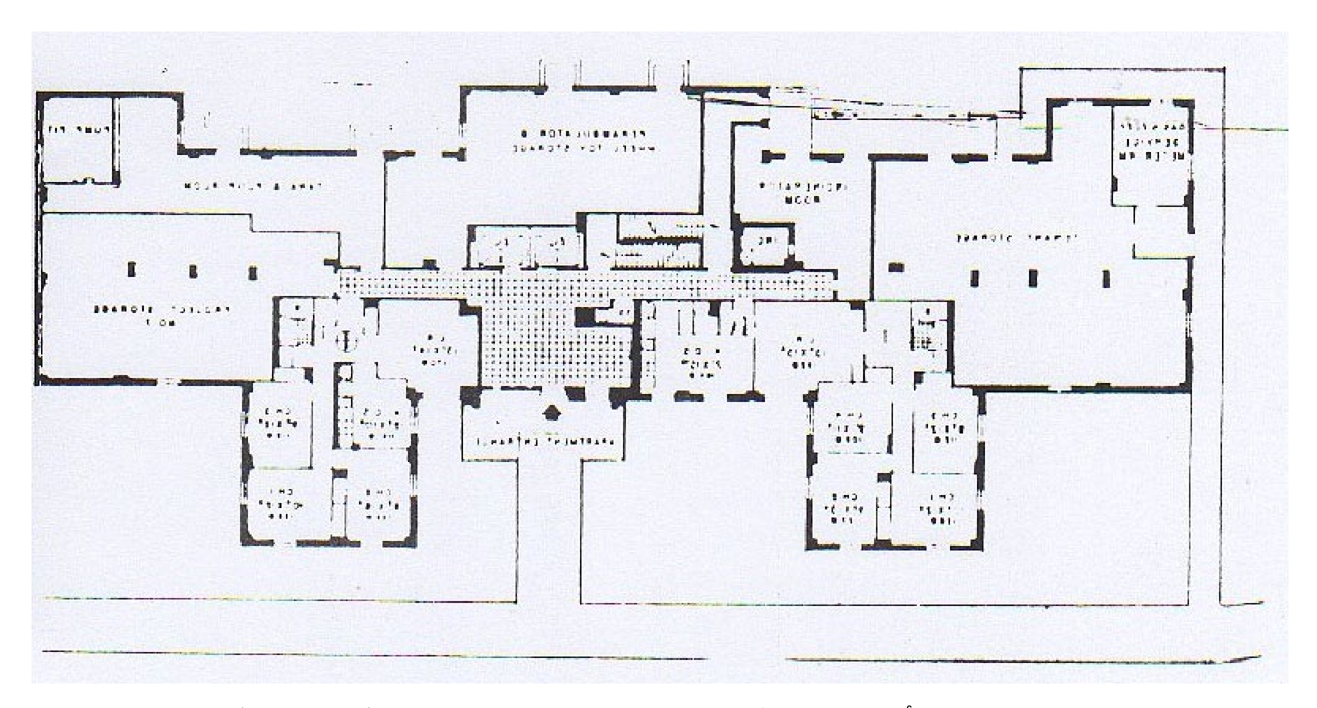
إن هذا التصميم يقلل كثيراً من فرص ارتكاب الجرائم ويقلل من قلق السكان والأهم من ذلك كله أن لصوص المنازل سوف يعتبرون هذه المنطقة صعبة الاختراق.

إن رفع الأدوار السفلى بالعمارات عن الطريق بواسطة بضعة درجات تعتبر وسيلة جيدة لرفع شبابيك الدور عن الشارع ومن ثم يصعب التسلل إلى الداخل عن طريق هذه الشبابيك.

يجب عند وجود مصاعد بالعمارات أن توضع أمام المداخل مباشرة إذ لا يجب أن يضطر الساكن أن يدور دورة ليصل إلى المصعد وينقطع اتصاله بالخارج ولا يعلم ما ينتظره بينما هو بعيداً عن الأنظار من ناحية الشارع ومن السكان أيضاً.



مسقط الدور الأرضي لمشروع إسكان برونكسديل في نيويورك. (عن نيومان)
لاحظ أن منطقة انتظار المصعد في بهو المدخل مخفية عن الأنظار من الشارع والساكن
لا يعلم ما ينتظره عند دخول المبنى وإذا حدث اعتداء عليه فلن يكون تحت المراقبة.



مسقط الدور الأرضي في مشروع إسكان هاي بريدج بنيويورك. (عن نيومان)
إن منطقة انتظار المصاعد موضوعة أمام المدخل الرئيسي مباشرة ويستطيع السكان مراقبة كل شيء قبل
دخول المبنى وعند تواجدهم أمام المصاعد يكونون تحت أنظار المارة بالطريق.

إن إضاءة الأماكن العامة سواء بداخل المبنى أو خارجه يجب أن تُعطى العناية الكافية ولا تُهمل صيانة الإضاءة هذه لأي سبب.

ثالثاً: تصميم الشوارع:

عند تصميم شوارع الحي السكني يجب أن تُخصص مساحة منه للاستخدام العام كعمل جزر مزروعة في محاور هذه الشوارع مثل ما هو موجود في كثير من شوارع مصر الجديدة مثل شارع المطار والعروبة وجسر السويس بحيث يستطيع الساكن الجلوس في هذه المناطق.

لقد وُجد أن هذا التخطيط يقلل من الجرائم. إن مثل هذا التخطيط نُفذ في شارع سانت ماركوس بحي بروكلين بمدينة نيويورك وكانت النتيجة كما ذكرها سكان هذا الشارع أن معدل الجرائم قد انخفض وأن المدمنون والسكارى تجنبوا التواجد فيه وأثبتت المقابلات التي أجراها نيومان مع السكان أن الناس تماسكوا مع بعضهم وازدادت رغبتهم في صيانة الشارع وتجميله وفي المشاركة الجماعية في الأنشطة المختلفة.

رابعاً: دور السكان

لقد أثبتت التجربة كما يقول نيومان أن المُشاهد لحادثة سطو أو جريمة لا يتدخل للمساعدة إلا إذا توفرت الشروط التالية:

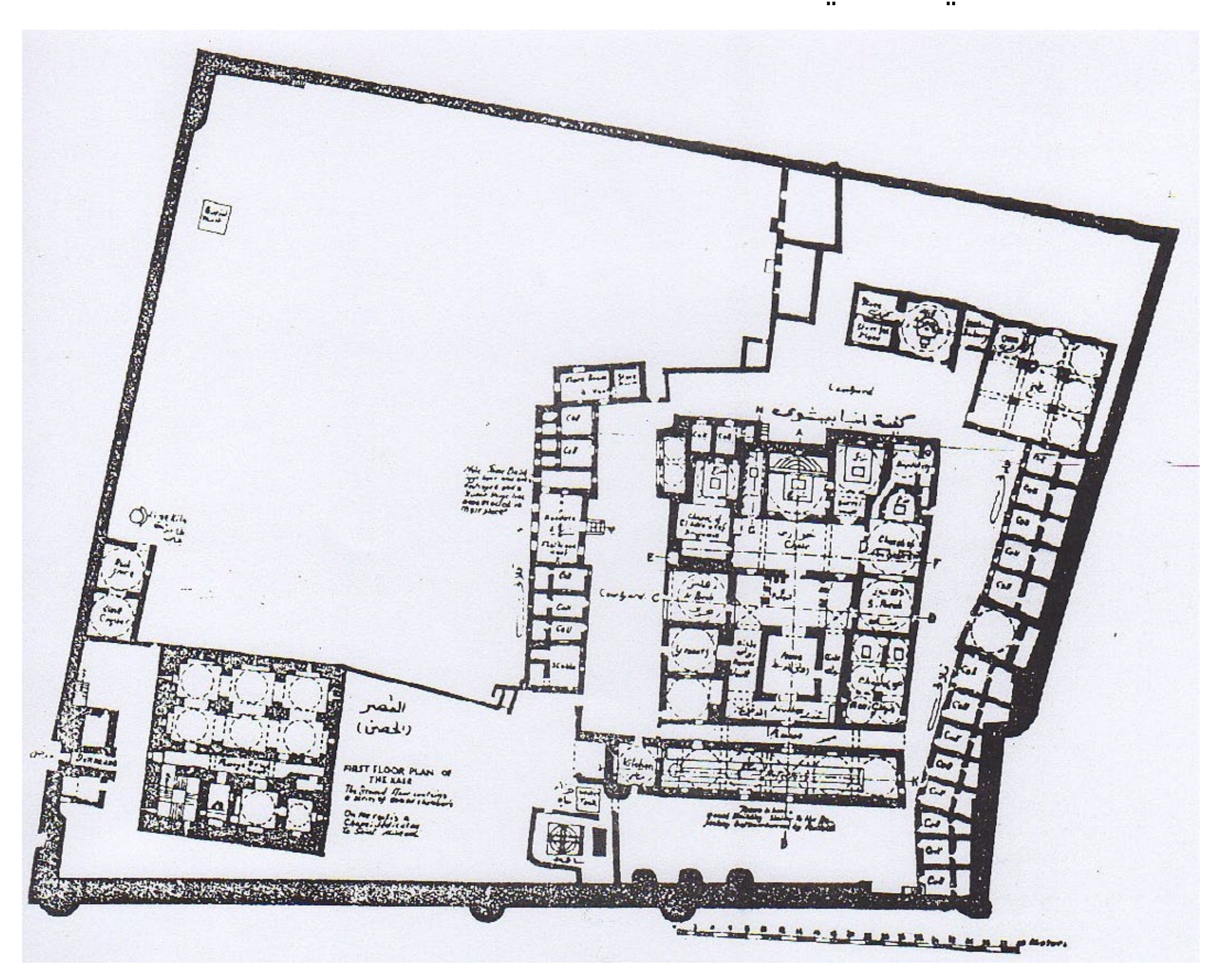
١- مدى معرفة الشخص بحقوقه المدنية والاعتياد على الدفاع عنها.
٢- مدى تفهم الشاهد بأن الجريمة التي تجري أمامه في منطقة نفوذه وله حق الدفاع عنها.
٣- مدى تأكد الشاهد أن السلوك الذي أمامه سلوك غير عادي بالنسبة للمكان المقيم فيه حتى يتصدى له ويحاربه.
٤- مدى معرفة الشاهد بالممتلكات المسروقة ومعرفته لمالك هذه المسروقات.
٥- مدى شعور الشاهد بقدرته على تغيير الحال سواء بنفسه أو بالاستعانة بالغير لمنع الجريمة.

إن العذر الذي يتحلى به الشاهد بعدم إسراعه لتقديم العون هو عدم معرفته للضحية ووقوع الحادث في مكان عام لا سلطان له عليه.

لقد ثبت من كل ما تقدم أن العمارة تساعد على تنمية العلاقات الاجتماعية بين السكان وتبين لهم مميزات تضافر جهودهم.

إن العمارة لا تجبر الناس على هذا الشعور بل تجعل مزايا هذا التعاون طافية على السطح.

لقد اتضح أيضاً أن منع الجريمة هي مسؤولية المهندس المعماري، وحماية أمن الحي السكني هي مسؤولية السكان أنفسهم وأن تعاونهم مع الشرطة هو الذي يقضي على المجرمين.



دير أنبا بيشوي. (عن إفلين هوايت)

نموذج من أديرة وادي النطرون محاط بسور من المباني للحماية من سطو قبائل البربر قديماً، ويوجد بالداخل القصر وهو حصن للإحتماء بداخله عند اشتداد الخطر.